مجلة الريادة للبحوث والأنشطة العلمية
Al-Riyadah Journal For Researches And Scientific Activities
العدد العاشر
سبتمبر September 2024

الواقع السياسي في ليبيا في الفترة المسومة بالعهد العثماني الثاني1835 . 1911م.

د. عبدالله أحمد المبروك دربي
كلية التربية زوارة / جامعة الزاوية
a.darbi @ zu. edu.ly

الملخص :

لم يكن رجوع العثمانيين لاحتلال ليبيا عبثياً؛ وإنما لاعتبارات سياسية واستراتيجية، تمثلت في خوف الدولة العثمانية من أن تصل يد الأوروبيين إليها، كما فعلت فرنسا عندما افتكت الجزائر سنة 1830م من أيدي الدولة العثمانية، خاصة إذا ما نظرنا إلى حالة الضعف والفوضى التي وصل إليها حال الأسرة القرمانلية، لاسيما بعد اتباعها لسياسة ضريبية مجحفة أثقلت كاهل الأهالي، ناهيك عن تدخلات القناصل الأوروبيين.

نتيجةً لكل هذه الظروف رأت الدولة العثمانية أن تكون هي السباقة في حكم ليبيا، قبل أن تتمكن إحدى الدول الأوروبية من تحقيق ذلك، وقد تم للعثمانيين ذلك بالفعل سنة 1835م، ليستمر حكمهم حتى سنة 1911م، وقد تخللته العديد من الأحداث لاسيما الثورات التي اندلعت ضدهم، وهو ما استغله الأوروبيون وخاصة الإيطاليون، الذين أخذوا على عاتقهم اتباع ما يُعرف بسياسة التغلغل السلمي في ليبيا، الذي انتهى باحتلالهم لها سنة 1911م، لتنطوي بذلك صفحة الحكم العثماني في ليبيا.

Abstract:

The return of the Ottomans to occupy Libya was not absurd; Rather, it was due to political and strategic considerations, represented by the Ottoman Empire's fear that the Europeans would reach it, as France did when it conquered Algeria in 1830 AD from the hands of the Ottoman Empire, especially if we look at the state of weakness and chaos that the Karamanli family had reached, especially after it followed an unfair tax policy. This burdened the people, not to mention the interventions of European consuls.

As a result of all these circumstances, the Ottoman Empire decided to be the first to rule Libya, before any of the European countries could achieve this. The Ottomans actually did this in 1835 AD, so their rule continued until 1911 AD, and it was punctuated by many events, especially the revolts that broke out against them. This is what was exploited by the Europeans, especially the Italians, who took it upon themselves to follow what is known as the policy of peaceful penetration into Libya, which ended with their occupation of it in 1911 AD, thus turning the page on Ottoman rule in Libya.

المقدمة :

تعددت الأسباب التي أدت لإنهاء حكم الأسرة القرمانلية 1711 . 1835م (عمر علي بن إسماعيل: انهيار حكم الأسرة القرمانلية 1795 . 1835م، ص32[1] سياسياً واقتصاديا واجتماعياً، وعودة الحكم العثماني لليبيا من جديد (إتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ص 216 [2]، فسياسياً تطلعت الدولة العثمانية إلى استعادة ليبيا؛ مخافة سيطرة الأوروبيين عليها، أما اقتصادياً فقد دفعت الضغوطات التي مارسها القناصل الأوروبيون بسبب الديون المتراكمة على يوسف باشا إلى اتخاذ الأخير لإجراءات ضريبية إضافية أثقلت كاهل الأهالي، وأثرت عليهم اجتماعيا بشكل واضح حيث اضطرهم الأمر إلى تأييد أي فرصة تُنهي هذا الواقع. هذا وقُسمت الدراسة إلى مبحثين اشتملا على عدة عناوين وهي كالاتي: تناول المبحث الأول: نهاية القرمانليين وعودة الحكم العثماني لليبيا وسياسة العثمانيون في قمع الانتفاضات، واشتمل المبحث على عنوانين كان الأول: أسباب عودة الحكم العثماني لليبيا، والثاني: سياسة العثمانيون في قمع الانتفاضات. بينما تناول المبحث الثاني: الأطماع الأوروبية في ليبيا وتضمن ثلاث عناوين، الأول: محاولات (إيطاليا . الولايات المتحدة الأمريكية . بريطانيا، ألمانيا . فرنسا)، والثاني: أطماع إيطاليا في ليبيا وسياسة (التغلغل السلمي)، أما الثالث: الاحتلال الإيطالي وصداه في الصحف الليبية والعربية ولدى الشعراء العرب.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في محاولة تتبع الأسباب الحقيقية الكامنة وراء إصرار العثمانيين للعودة لحكم ليبيا من جديد وفي هذا التوقيت بالذات، أضف إلى ذلك وجود تناقض وتضارب في المعلومات بين مرجع وآخر، الأمر خلق مشكلة لدى الباحث في الوصول إلى أدق المعلومات.

تساؤلات الدراسة:

بناءً على ما سبق سيتم في هذا البحث الإجابة على تساؤلات عدة منها: ما هي الأسباب التي أدت إلى عودة العثمانيين لحكم ليبيا؟ وكيف كانت ردة فعل الأهالي تُجاه سياسة الأسرة القرمانلية من جهة، وعودة الحكم العثماني من جهة أخرى؟ وما هو موقف الأوروبيين بحكم تدخلهم في ليبيا خاصة الإيطاليين من كل الأحداث الجارية آنذاك؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في:

1- إبراز أهم الأسباب التي ساهمت في عودة الحكم العثماني لليبيا.

2- إلقاء الضوء على أهم الظروف التي عجلت بنهاية حكم الأسرة القرمانلية.

3- الاطلاع على الدور الذي لعبه الأهالي في فتح الطريق أمام عودة الحكم العثماني وإن كان بشكل غير مقصود.

4- الوقوف على أهم الانتفاضات التي قاومها العثمانيون في سعيهم لاستقرار وضعهم في ليبيا.

أهداف الدراسة:

لهذه الدراسة أهداف تمثلت في:

1- بيان الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى نهاية الأسرة القرمانلية وعودة الحكم العثماني.

2- إعطاء صورة كاملة مترابطة للأوضاع في ليبيا فيما سبق عودة العثمانيون وما تلى عودتهم، وما تخلل كل ذلك من أحداث وردات فعل من عدة أطراف، وصولاً إلى أحكام العثمانيون لقبضتهم في نهاية المطاف.

حدود الدراسة:

حُددت فترة البحث المتعلقة بدراسة الواقع السياسي في ليبيا، بفترة العهد العثماني الثاني 1835. 1911م، وذلك لتوضيح الأسباب والدوافع التي ساعدت وشجعت العثمانيون للعودة لحكم ليبيا، والسياسة التي اتبعوها لتوطيد ذلك الحكم.

المنهج المتبع في الدراسة:

هذا وقد اتُبع في كتابة هذا البحث (المنهج التاريخي الوصفي)، وذلك من خلال تتبع الوقائع التاريخية ومجريات الأحداث كلٌ حسب تاريخه، إلى جانب إرفاق ذلك بوصف أقرب ما يكون للدقة لتلك الأحداث ومدى تأثيرها على واقع الحياة في ليبيا آنذاك.

أما المنهجية فقد قسم البحث إلى فصل ومبحثين تضمن الفصل الواقع السياسي في ليبيا في الفترة المسومة بالعهد العثماني الثاني 1835 . 1911م، والمبحث الأول نهاية القرمانليين وعودة الحكم العثماني لليبيا وسياسة العثمانيون في قمع الانتفاضات.

والمبحث الثاني: الأطماع الأوروبية في ليبيا:

المبحث الأول: نهاية القرمانليين وعودة الحكم العثماني لليبيا وسياسة العثمانيون في قمع الانتفاضات

أولاَ : أسباب عودة الحكم العثماني لليبيا:

قبل الحديث عن العهد العثماني الثاني ينبغي الإشارة إلى الأسباب التي دعت الدولة العثمانية للتدخل والعودة لحكم ليبيا. حيث كان السلطان العثماني محمود الثاني قد فقد سوريا عندما سيطرت عليها قوات محمد علي باشا، وأُجبِر السلطان على الاعتراف بمحمد علي باشا وحكمه الوراثي في مصر، فحاول تعويض الخسارة باسترجاع إيالة طرابلس للدولة العثمانية، إضافة إلى أنّه خاف أن تضيع طرابلس كما ضاعت الجزائر عندما احتلتها فرنسا في1830م، مما دفع الدولة العثمانية لتُمّهد لوضع أقدامها في ليبيا من جديد، ويقول خالد الأمين المغربي: "إنه لولا هذه الأسباب كان من المحتمل أن تترك الدولة العثمانية طرابلس تُحْكَم من قبل القرمانليين" (خالد الأمين المغربي: دراسة في تاريخ القرمانليين باشاوات ليبيا من 1714حتى 1835، ص151[3]،... الذين وقفوا في وجه التحديات الأوروبية.

وقد تولى نجيب باشا الحكم في إيالة طرابلس في1835م، وحضر المشايخ مهنئين له من بينهم الشيخ غومة المحمودي الذي لم يطمئن له نجيب باشا فأودعه السجن (محمد إمحمد الطوير: مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس الغرب، ص 18. 82 [4]، ولم يُطْلق سراحه إلا أثناء ولاية محمد رائف باشا (1835 ـ 1836م) (محمود ناجي: طرابلس الغرب، ص228[5] ولم يستقر الحال للعثمانيين إذ اندلعت ضدهم الانتفاضات بسبب فرض الضرائب وسوء المعاملة، ولكنهم تمكنوا من القضاء عليها.

ثانياً: سياسة العثمانيون في قمع الانتفاضات لتوطيد حكمهم:

- **ثورة عبد الجليل سيف النصر وغومة المحمودي:**

بينما استمرت ثورة عبد الجليل سيف النصر عقب سقوط الأسرة القرمانلية ضد الحكم العثماني الجديد، والذي كان قد سيطر على فزان، وتحالف مع سلاطين بلاد السودان (صلاح الدين الشامي: السودان "دراسة جغرافية "، ص 14. 15[6]، وحاول الاتصال بالحكومة الفرنسية والاتفاق معها بتمويل تجارة قوافل فزان نحو الجزائر المستعمرة الفرنسية، ولتدعيم حكمه أصدر عملة تحمل اسم عبد الجليل سلطان فزان (علي عبد اللطيف حميدة: الدولة والمجتمع والاستعمار في ليبيا، ص87 ـ 88[7]، وعندما جاء الوالي الجديد لليبيا (حسن الجشمهلي) في 1837م، حاول استمالة الأهالي وإظهار التسامح معهم، فأقّر عبدالجليل على حكم فزان، ومنح غومة المحمودي حكم الجبل، مقابل دفع

الضرائب للحكومة العثمانية، فوافق الاثنان، إلا أنهما ما لبثا أن غيرا موقِفيهما بسبب مطالبة الوالي حسن الجشمهلي بضرائب رجعية عن السنين السابقة فعادت المقاومة (الطاهر أحمد الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية الحكم التركي، ص 224[8] واستمرت مقاومة عبد الجليل في عهد الوالي الجديد علي عشقر (ن.إ. بروشين: تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص228[9]، الذي حاول التعاون مع القنصل الإنجليزي (وارنجتون) لمهادنة عبد الجليل، وفعلاً استطاع القنصل استدراج عبد الجليل لمنطقة الساحل، وحدد موعداً للقائه في باخرة أُعدت لهذا الغرض، غير أن خبر ذلك الاجتماع وصل إلى مسامع علي عشقر (شارل فيرو: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ص458[10]، الذي استغل الموقف وبعث بجنوده يقودهم (حسن البلعزي)، الذي تمكن من قتل عبد الجليل في المعركة، وأرسل برأسه إلى طرابلس حيث عُرض على باب القلعة في1842م، كما كان من بين القتلى شقيق عبد الجليل المُسمى سيف النصر، والكثير من رجاله (كوستانزيوبرينا: طرابلس من 1510إلى 1850، ص347[11]، من بينهم مصطفى الأدغم وأحمد المريض (محمد امحمد الطوير: انتفاضة واحة أم الأرانب 1844م ضد العثمانيين، ص151[12]، وابن الأخير وأخيه (إتوري روسي: المرجع السابق، ص432[13] أخذت الدولة العثمانية تُرسل الوالي تلو الآخر لليبيا، كان من بينهم محمد أمين باشا الذي وصل ليبيا في 1842م، وقد أظهر تسامحاً في بداية عهده فأطلق سراح المعتقلين، وحاول التقرب من غومة فاستضافه عنده و ولاه عضوية مجلس الإدارة، وبقي غومة في طرابلس مع أهله، غير أنه أُعتقل من جديد بأمرٍ من الأستانة مع عددٍ من أقاربه ومساعديه ونُقل على ظهر سفينة إلى الأستانة ثم إلى طرابزون على البحر الأسود (كوستانزيوبرينا، المرجع السابق، ص340. 344[14]، فما كان من قبيلة غومة (المحاميد) إلا أن غضبت من هذا الفعل، فقامت ببعض الأعمال المناوئة ضد الحكم العثماني، وحدثت معارك بينهم وبين الجنود العثمانيين بقيادة أحمد باشا، الذي تمكن من الانتصار عليهم، ومن بعدها وكعادة بعض الولاة العثمانيين في المماطلة والغش، تمّ جمع العديد من المشايخ بحجة عقد الصلح معهم، إلا أنه تم قتلهم جميعاً لِبث الرعب في قلوب الأهالي (خليفة محمد التليسي: حكاية مدينة طرابلس لذى الرحالة العرب والأجانب، ص 165[15]، وبدأت سيطرة الدولة العثمانية تظهر في عهد مصطفى باشا 1853 م، بتعيين (القاسم) منافس غومة حاكماً للجبل، واستمر الحال حتى 1854م (محمود ناجي:

المرجع السابق، ص174[16]، حيث تمكن غومة من الفرار من سجنه، ووصل تونس بعدما مرّ بروما وفرنسا، ومن تونس اتجه إلى الجبل والتفت حوله قبائل نالوت وكاباو ويفرن والعربان (كوستانزيوبرينا: المرجع السابق، ص351 [17]، وهنا خرجت العساكر العثمانية فوضع لها غومة خطة محكمة وهزمهم هزيمةً ساحقة (الطاهر أحمد الزاوي: ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي، ص251[18]، إلا أن الأمور بعد ذلك أخذت تسير في غير صالح غومة بوصول الوالي الجديد عثمان باشا في1855م، مع المزيد من الجنود والدعم، فانهزم غومة في 1856م وذهب إلى تونس، تم تركها في 1858م واتجه إلى غدامس، وفي هذه المنطقة تمكنت القوة العثمانية من هزيمته مع من معه من الأتباع القليلين، وقُتل ونُقلت رأسه إلى طرابلس (شارل فيرو، المرجع السابق، ص485[19]، وبموت غومة المحمودي استقر الحال للعثمانيين بعد توتر دام عشرين عاماً، وقد أهدى السلطان العثماني سيفاً مرصعاً بالجواهر ومبلغاً قدره عشرون ألف ليرة نظير التوفيق الذي أحرزه عثمان باشا في القضاء على غومة (إتوري روسي: المرجع السابق، ص 440[20] وإلى جانب هاتين الثورتين اندلعت انتفاضة (أم الأرانب) 1844م، عقب مصرع عبد الجليل سيف النصر (خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص 165[21].

المبحث الثاني: الأطماع الأوروبية في ليبيا:

أولاً: محاولات (إيطاليا . الولايات المتحدة الأمريكية . بريطانيا . ألمانيا . فرنسا) للسيطرة على ليبيا:

ورغم قضاء العثمانيين على المشاكل والثورات داخل البلاد الليبية، إلا أنهم بدأوا يواجهون مشاكل خارجية تمثلت في الأطماع الأوروبية، فعند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي أخذت الدول الأوروبية وخاصة إيطاليا تنظر إلى ليبيا للسيطرة عليها، فإيطاليا بعد وحدتها 1870م بدأت تسعى للحصول على مستعمرات كغيرها من الدول الأوروبية، إضافة إلى محاولة مواجهة الانفجار السكاني، والحد من انتشار البطالة (محمد امحمد الطوير: انتفاضة واحة أم الأرانب، المرجع السابق، ص151[22]، ومحاولة إعادة أمجاد روما القديمة (نصر الدين بشير الصادق العربي: الأطماع الأوروبية في ليبيا، ص 85 [23]، إلى جانب رغبة قادة الجيش الإيطالي مسح العار الذي لحق بهم في معركة عدوة، ز. ب. باخيموفيش: الحرب التركية الإيطالية 1911 . 1912 [24] إلى جانب إيطاليا حاولت الولايات المتحدة الحصول على موطئ قدم لها، من خلال إقامة

قاعدة لها في طبرق باقتراح من السفير الأمريكي في ليبيا فيدال في1875م، إلا أنه تم العدول عن هذه الفكرة، بعد نقل ذلك السفير في العام التالي (نقولا زيادة، ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال، ص 59 [25]، ولم تغب بريطانيا عن هذه الأحداث، فهي الأخرى بعد احتلالها لمصر سعت للزحف لربط غرب مصر بشرق ليبيا، أضف إلى ذلك قيامها بإرسال البعثات الكشفية، كان من بينها بعثة الرحالة (جيمس ريتشاردسن)، والذي زار طرابلس في1845م، ثم غادرها إلى غدامس ومن ثمّ إلى غات، ثم انضم إلى قافلة من قوافل تجارة الرقيق المتجهة إلى مرزق، وأخيراً عاد إلى شمال البلاد، وقد كان لهذه الرحلة أثرٌ كبير؛ لأنها فتحت آفاقاً جديدة، وأوضحت أن فزان يمكن اعتبارها بداية ينطلق منها الأوروبيون للتغلغل إلى أعماق أفريقيا(جمال الدين الناضوري: جغرافية فزان، ص18 . 19[26].

أما ألمانيا فقد أنشأت مصرفاً لها في طرابلس تمهيداً لمحاولة تنفيذ المخطط الذي دعي إليه الرحالة الألماني (ناختيجال)، والذي يرمي إلى إقامة إمبراطورية ألمانية تمتد من التوجو والكاميرون حتى ساحل البحر المتوسط مروراً بليبيا، يشقها خط سكك حديدية (ز. ب باخيموفيش: المرجع السابق، ص 34 . 44 [27] إلا أن أكبر الأخطار التي هددت ليبيا كانت المحاولات الفرنسية للسيطرة على المناطق الجنوبية الغربية من البلاد خاصة بعد سيطرتها على بحيرة تشاد(إسماعيل أحمد ياغي: تاريخ العالم العربي المعاصر، ص 313 [28]، الأمر الذي أدى إلى مواجهةٍ بين السنوسية والفرنسيين في معركة بير هلال في 1901م (أحمد صدقي الدجاني: الحركة السنوسية " نشأتها نموها في القرن التاسع عشر، ص 231[29]، حيث أسهم السنوسيون في مواجهة حركة الاستعمار الأوروبي رغم قلة الإمكانيات فقد كانت تعوزهم الأسلحة الحديثة التي كانت بأيدي الأوربيين، وبذلك وقف السنوسيون إلى جانب الدولة العثمانية في مقاومتها للاستعمار الأوروبي، فقد كانت العلاقة جيدة بين الطرفين، لاسيما وان كلاً منهما قد اعترف بالآخر، واستمرت تلك العلاقة رغم محاولات الدول الاستعمارية الأوربية الحثيثة للإيقاع بينهما (عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية، ج3، ص131 . 134[30]. وعلى غرار بريطانيا وفي إطار السعي لإيجاد موطئ قدم، اهتمت فرنسا هي الأخرى بمجال الكشف في أفريقيا في ليبيا على وجه الخصوص، حيث قام الرحالة الفرنسي هنري دوفريه 1840 (Henri Duveyri) . 1890م، الذي زار ليبيا عدة مرات متخفياً تحت اسم آخر وهو (سعد)،

وقد جمع معلومات مهمة عن المنطقة عرفت السلطات الفرنسية كيف تستفيد منها في السيطرة على الصحراء الكبرى (مصطفى عبدالله بعيو: بعض الملامح التاريخية عن ليبيا، ص 5 [31].

ثانياً: أطماع إيطاليا في ليبيا وسياسة (التغلغل السلمي).

ولقد ازداد اهتمام إيطاليا بليبيا خاصة بعد أن فقدت تونس التي احتلتها فرنسا في1881م، وفرضت عليها معاهدة (باردو) (أحمد صدقي الدجاني: ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي،327 [32].

وبدأت إيطاليا تُمهدّ لغزو ليبيا بما عُرف (بالتغلغل السلمي)، (جيبوليتي: مذكرات جيبوليتي، ص11 [33]، بفتح مدارس إيطالية لإدراكها أهمية التعليم في تنفيذ سياستها(نصر الدين بشير الصادق العربي: المرجع السابق، ص74 [34]. ومن سُبل التغلغل السلمي اهتمام إيطاليا بمعرفة الواقع الليبي قيامها بإرسال العديد من الرحلات الكشفية بتشجيعٍ وإشرافٍ من (الجمعية الإيطالية للاستكشاف الجغرافي والتجاري)، التي اتخذت من مدينة (ميلانو) مركزاً لها، وهي برئاسة المستكشف الإيطالي مانفريدو كامبيريو(Manfredo Camperio) (شارل فيرو: المرجع السابق، ص 530 [35]، الذي يُعد من أبرز المستكشفين الاستعماريين، وقد زار ليبيا عدة مرات وحاول التقرب من الزعماء المحليين ولكنه فشل في ذلك (عبد المولى صالح الحرير: التمهيد للغزو الإيطالي وموقف الليبيين منه، ص 20 [36]، ومن المستكشفين الإيطاليين الذين زاروا ليبيا أيضاً سفورزا(Sforza) ، الذي ارتابت الحكومة العثمانية في حقيقة البعثة التي كان من ضمنها، فاعتقلت أعضائها، ولم يتم إطلاق سراحهم إلا في1912م (شارل فيرو: المرجع السابق، ص 530 [37].

وبخصوص برقة فقد زارتها في1881م بعثة للتنقيب عن الأثار، إلا أنها في الحقيقة قدمت تقارير نصحت من خلالها الحكومة الإيطالية بإنشاء مراكز تجارية، كانت أساس التغلغل الإيطالي في البلاد، وكذلك رحلة الرحالة (كاوبر) الذي زار البلاد في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، لدراسة الأصنام والهياكل الحجرية، ويُلاحظ أنه يُركّز على الطرق والمسافات، ويتمنى أن تمتلك هذه البلاد (ليبيا) إحدى الدول الأوروبية، وكأنها ملكٌ له، ولا ينفي ذلك وجود رحلات وبعثات كانت ذات أهداف علمية صرفة منها رحلة إدوارد ريا (Edward Rai) في1877م الذي درس آثار مدينة لبدة، ووصف قوس ماركوس في مدينة طرابلس وما بها من مساجد (وداد الجوّادي الهنقاري: البحث والتنقيب عن الآثار في ولاية طرابلس الغرب، ص 107 . 109 [38]. ومن أساليب التغلغل السلمي

لإيطاليا في ليبيا افتتاح فرع لمصرف روما في مدينة طرابلس في 1907م، وتبع ذلك افتتاح فروع أخرى له في مدن بنغازي ودرنة ومصراتة وزوارة، وتم تشجيع رجال الأعمال الإيطاليين لشراء الأراضي الليبية، والقيام بالأعمال التجارية والصناعة من أجل مصلحة إيطاليا فقط (نصر الدين بشير الصادق العربي: المرجع السابق، ص 90 [39]، حيث أنشأ السنيور بالداري (Baldari) مصنعاً للحلفا في مدينة طرابلس بمشاركة مصرف روما، وكذلك أنشأ المصرف مصنعاً للإسفنج وهو أيضاً بمساهمة مع الإيطالي السنيور برشياني(Brchiane) إضافةً إلى مصنعٍ للثلج (فرانشيسكو ماكولا: حرب إيطاليا من أجل الصحراء، ص63 [40]. ولقد كان لليهود دوراً بارزاً في تأسيس مصرف روما، إذ ساهم اثنان من كبار الماليين اليهود في ليبيا في تأسيسه وهما: (أرنستولابي ـ وإسحاق ديديا ناحوم)، وجاء هذا العون لشعور اليهود بأن إيطاليا إذا ما احتلت ليبيا فإنهم سيجدون فيها فرصةً لتحسين أوضاعهم الاقتصادية (محمد إمحمد الشعباني: يهود ليبيا، ص 108[41] .

ولم يكن الليبيون بمنأى عمَّا يحدث في بلادهم من سيطرة العثمانيين، ومساعي الدول الأوروبية للتدخل في ليبيا، فبعد الاحتلال الفرنسي لتونس في 1881م، والذي تلاه الاحتلال الإنجليزي لمصر في1882م ـ وفقد الجزائر قبل ذلك في1830م ـ وعدم قدرة الدولة العثمانية الوقوف في وجه الاستعمار الأوروبي، هنا أدرك مجموعة من الشباب (أحمد صدقي الدجاني: ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المرجع السابق، ص151[42] المثقف الأخطار التي تحدق بهم، وأسسوا لهم جمعية (عبد الكريم محمود غرايبة: تاريخ العرب الحديث، ص264 [43] اتسمت بالسرية (محمد عمر مروان: تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، ص 176 [44]، وضعوا لها قانونًا ينظم عملها، واتخذوا لهم مقرًا، وكي لا تشك بهم السلطات العثمانية أطلقوا على جمعيتهم اسم (فوائد ونصائح خيرية)، كان أهم أهدافها مراقبة الخطر الأوروبي (أحمد صدقي الدجاني: ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، ص 351[45]، وعلى المستوى الرسمي وقف بعض الولاة العثمانيين في وجه هذه التحركات، فقد قام الوالي إبراهيم باشا 1910م بالتحقيق في عمل مصرف روما الذي تحايل على القانون بشرائه الأراضي وتمليكها، وأوضح التحقيق أن أكثر الأموال التي يتعامل بها المصرف هي بدعم من الحكومة الإيطالية (نصر الدين بشير الصادق العربي: المرجع السابق، ص91 .

92 [46]. أما على المستوى الشعبي فقد كانت الصحف المحلية تدق ناقوس الخطر، ففي أحد أعدادها كتبت (أبو قشّة): تنبه على خطر الاستعمار الذي احتل الجزائر، وها هو يتجه إلى ليبيا، وتحذر صحيفة (تعميم حريات) من دسائس الاستعمار الأوروبي (علي مصطفى المصراتي: صحافة ليبيا في نصف قرن، ص 101[47]، هذا وقد نبهت صحيفة (الترقي) الحكومة العثمانية إلى عدم إعطاء الإيطاليين أي مكاسب، وذكرت أن إيطاليا تطمع في الاستيلاء على ليبيا (عبد الرزاق أحمد النصيري: دراسة ليبية في التاريخ الحديث والمعاصر، ص 111[48]، وترافقت جهود إيطاليا في تغلغلها في البلاد مع مساعيها في الحصول على موافقة الدول الأوروبية في احتلالها لليبيا، وتمّ لها ذلك عن طريق إقامة تحالفات واتفاقيات مع بعض الدول الأوروبي (محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص 178 [49]، والحقيقة أنه مع بداية القرن العشرين لم تكن إيطاليا الوحيدة التي تسعى لكسب ليبيا، بل كان اليهود يرغبون أن تكون ليبيا وطنًا قوميًّا لهم، إلاّ أنَّ نتائج البعثة التي أرسلتها المنظمة اليهودية في 1908م إلى منطقة برقة لدراسة إمكانية إقامة وطن لهم لم تكن مشجعة (جون رايت: تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ص 114[50]. وفي 1911م أرسلت الحكومة الإيطالية إنذارًا إلى الحكومة العثمانية أوضحت فيه نواياها العدوانية في احتلال ليبيا، وذكرت حججها الواهية باضطهاد الحكومة العثمانية للإيطاليين، وقررت احتلال ليبيا عسكرياً (نصر الدين بشير الصادق العربي: المرجع السابق، ص 118 . 119[51] .

وقد تخلت الدولة العثمانية عن ليبيا وسلمتها للغزاة الطليان من خلال معاهدة (أوشي لوزان)، ومع ذلك ظل عدد من الضباط والجنود العثمانيين بجانب إخوانهم الليبيين يقاومون الغزاة رغم قلة الإمكانيات (سليم إلياس: موسوعة أحداث العالم، ص 171[52].

ثالثاً: الاحتلال الإيطالي وصداه في الصحف الليبية والعربية ولدى الشعراء العرب:

وقد تناولت بعض الصحف العربية الصادرة في تلك الفترة حركة المقاومة الليبية بكل اهتمام، فدعت صحيفة الزهور التي تصدر بمصر إلى مقاطعة الطليان في صناعاتهم ومحصولاتهم، وأشارت الصحيفة إلى ضرورة مقاطعة الألفاظ الإيطالية المتداولة في الشارع المصري، من أمثلة ذلك بعض الألفاظ التي ينادي بها المصري الصعيدي الذي يبيع الخبز وهي كلمة (فينو) في

عيش فينو، أو التي ينادي بها الذي يبيع الملابس العتيقة وهي (روبابكيا)، وبالمقابل حث كاتب المقال على استعمال التحية العثمانية كضرب القدم بالقدم أو حس الأنف بالأنف (صحيفة الزهور، ص383[53]. وكذلك اهتمت صحف الأهرام، ووادي النيل والشورى بالمقاومة الليبية، واهتمت بعض الصحف التونسية مثل: الزهرة، والمشير بالمقاومة الليبية أيضًا، ولم تغفل صحيفة المرصاد السورية عن المتابعة والاهتمام بالقضية الليبية (مصطفى حامد رحومة: دور الصحافة العربية في حركة المقاومة الليبية، ص 104 . 105[54] . ولم تغفل الصحف العراقية عما يحدث في ليبيا، فقد هاجمت جريدة صدى بابل ما قام به الاحتلال الإيطالي من همجية ووحشية في ليبيا (عبد الرزاق أحمد النصيري: المرجع السابق، ص 133[55] . كما تجذر الإشارة إلى بعض الشعراء العرب الذين أنشدوا شعراً يُشيد بالمقاومة، ويدعو إلى مؤازرة الليبيين، فها هو أحمد شوقي ينشد قصيدته التي قالها أثناء قيام جمعية الهلال المصرية بجمع التبرعات لليبيين عند تعرضهم للغزو الإيطالي، حيث قال: " هل ترحمون ـ لعلّ الله يرحمكم ـ بالبيد أهلاً، في الصحراء جيران في ذمّة الله ـ أوفي ذمةٍ نفرٌ ـ على طرابُلس يقضون شجعانًا (أحمد شوقي: الشوقيات، ص 245 . 246[56]، ولإسماعيل صبري شعر حثَّ فيه المسلمين لنصرة إخوانهم في ليبيا يقول:

يا مسلمي الهند شدّوا أزر دولتكم * * * عن مجدكم حدَّث التاريخ والسِّيرُ
يا مسلمي الصين واليابان همّتكم * * * فالمال أحسن ما يُجْنَى من الثّمر
يا مسلمي الفرس كِسْرى كان أكرم * * * منْ يبذل أموالهم قد تشهد العُصُرُ
سكان أطلس إن الدِّين يأمركم * * * يبذل أرواحكم يا حبذَّا السفرُ
أبناء مصر أعيدوا اليوم مجدكم * * * النيل يشهد والأهرام والأثـــر
قد كان مجدكم فاق السُّهى وسَما * * * إلى العُلَا منزلاً يسمُو له النصرُ
فبادروا بأداء الفرض واستَبِقُوا * * * للاكتتاب بمالٍ تحسن الذكرُ

(أحمد القصاص وآخرون: ديوان إسماعيل صبري، ص 130 . 131[57].

وللشاعر الليبي المعاصر للاحتلال الإيطالي / أحمد الشارف قصيدة نضمها بمناسبة الحرب الطرابلسية، منها:

رَضِينَا بِحَتْفِ النُّفوسِ رَضِينَا *** وَلَمْ نَرْضَ أَن يُعْرَفَ الضَّيْمُ فِينَا

وَلَمْ تَرْضَ بِالعَيْشِ إِلاَّ عَزِيزًا *** ولاَ نَتَّقِي الشَّرَ بَلْ يَتَّقِينَا

فَمَا الحُرُّ إِلاَّ الَّذِي عَاشَ حُرًّا *** وَلَمْ يَرْضَ بِالْعَيْشِ إِلاَّ أَمِينَا

(علي مصطفى المصراتي: أحمد الشارف دراسة وديوان، ص 103[58].

وقصيدة لإبراهيم الباروني يدعو فيها قومه للاتحاد والذود عن الوطن وهي:

قد ضاقت الدنيا عن الحر الذي *** يأبى الهوانَ وأن يعش مُضاما

وتنكرت بيض الوجـوه لوجهه *** وغدا غريباً حيث حلَّ وقاما

فاصبر وجاهد لايردّك خائنٌ *** باع البلاد أرامـلاً ويتـامى

وانظر إلى الله الكريم مؤملاً *** يُنزِل عليك النور والإلهاما

(أحمد بك أبو شادي: المنتخبات الشعرية في الحرب الطرابلسية، ص 24 [59].

الخاتمة:

وهكذا تعددت العوامل التي دفعت الأستانة لاستعادة ليبيا على رأسها الخوف على طرابلس بعد سقوط الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي 1830م، وقد استمرت الثورات المعارضة للوجود العثماني خاصة ثورة عبد الجليل وأم الأرانب وسيطرة المحمودي على الجبل مع تعاقب الولاة العثمانيين وتصاعد الأطماع الأوروبية خاصة الإيطالية من خلال ما عُرف بالتغلغل السلمي الإيطالي الذي ساهم فيه اليهود للانقضاض على ليبيا وهذا ما انتهى إليه الأمر باحتلال ليبيا 1911م لينتهي الحكم العثماني وتبدأ مرحلة جديدة.

المصادر والمراجع:

1- أحمد شوقي، الشوقيات، ج1، بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت،
2- أحمد القصاص وآخرون، ديوان إسماعيل صبري، القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د. ت،
3- على مصطفى المصراتي، أحمد الشارف دراسة وديوان، مصراتة. ليبيا: دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 2000م.
4- أحمد بك أبو شادي، المنتخبات الشعرية في الحرب الطرابلسية، د. م، مطبعة وورشة تجليد الأنوار، 1996م،
5- أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية " نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر"، بيروت: دار لبنان للطباعة، 1967 م.
6- الطاهر أحمد الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية الحكم التركي، ليبيا: دار السيد محمد الرماح بشينة، 1970م،
7- جمال الدين الناضوري، جغرافية فزان، بنغازي: دار ليبيا، د. ت،
8- خالد الأمين المغربي، دراسة في تاريخ القرمانليين باشاوات ليبيا من(1714 حتى 1835)، باريس: جامعة السربون، 1977م
9- ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف القرن السادس عشر ومطلع القرن العشرين، تعريب: عماد حاتم، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005م،
10- شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ج2، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1993م، محمد إمحمد الطوير، مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس الغرب 1835 . 1858م، طرابلس: مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1988م، ص 81 . 82. خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ط3، ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1997م،
11- محمود ناجي، طرابلس الغرب، ط2، ترجمة: عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى، طرابلس: دار الفرجاني، 1995م،.

12- مصطفى حامد رحومة، "دور الصحافة العربية في حركة المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي"، مجلة الشهيد، العدد 14 . 15، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، أكتوبر 1993 . 1994م.

13- محمد إمحمد الطوير، انتفاضة واحة أم الأرانب، المرجع السابق.

14- علي عبد اللطيف حميدة، الدولة والمجتمع والاستعمار في ليبيا، بيروت: مركز الدراسات العربية، 1993م.

15- عبد المولى صالح الحرير، التمهيد للغزو الإيطالي وموقف الليبيين منه، ط2، في بحوث ودراسات، ج2، إشراف: صلاح الدين حسن السوري وحبيب وداعة الحسناوي، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998م.

16- كوستانزيوبرينا، طرابلس من 1510 إلى 1850 م، ترجمة: خليفة محمد التليسي، طرابلس: مكتبة الفرجاني، 1969م.

17- نصر الدين بشير الصادق العربي، الأطماع الإيطالية في ليبيا واتفاقها مع الدول الكبرى بشأن التمهيد لاحتلال ليبيا 1881. 1911، طرابلس: مركز البحوث والدراسات الإفريقية، 2013م

18- ز . ب باخيموفيش، الحرب التركية الإيطالية 1911 . 1912 م، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، بيروت: دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، 1970م.

19- نقولا زيادة، ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال، القاهرة: معهد الدراسات العربية العالمية، 1958 م.

20- ز . ب باخيموفيش، المرجع السابق.

21- إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ العالم العربي المعاصر، ج 2، الرياض: مكتبة العبيكان، 2003م،

22- عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج3، القاهرة: الإنجلو المصرية، 2004م

23- مصطفى عبدالله بعيو، بعض الملامح التاريخية عن ليبيا، محاضرة عامة أُلقيت سنة 1965م، بنغازي: المطبعة الأهلية، 1996م.

24- أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي أو طرابلس الغرب في أواخر العهد العثماني 1882 . 1911، القاهرة: المطبعة الفنية الحديثة، 1971م.

25- حيبوليتي، مذكرات جيبوليتي، تعريب: خليفة محمد التليسي، مصراتة: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1986م،

26- وداد الجوّادي الهنقاري، البحث والتنقيب عن الآثار في ولاية طرابلس الغرب أثناء العهد العثماني الثاني 1835 . 1911، طرابلس: منشورات الدار الأكاديمية للطباعة والتأليف والترجمة والنشر، 2013م.

27- نصر الدين بشير الصادق العربي، المرجع السابق.

28- فرانشيسكو ماكولا، حرب إيطاليا من أجل الصحراء، ترجمة: عبد المولى صالح الحرير، مراجعة: محمود حسن صالح منسي، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1991م،

29- محمد إمحمد الشعباني، يهود ليبيا دراسة سياسية وقانونية حول دعوي المطالبة بالتعويض عن أملاكهم في ليبيا، طرابلس: دار الحكمة، 2006 م.

30- عبد الكريم محمود غرايبة، تاريخ العرب الحديث، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع،1987م.

31- محمد عمر مروان، تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر" في معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا"، القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2008م،

32- نصر الدين بشير الصادق العربي، المرجع السابق، علي مصطفى المصراتي، صحافة ليبيا في نصف قرن، بيروت: طابع دار الكشاف، 1960 م.

33- عبد الرزاق أحمد النصيري، دراسات ليبية في التاريخ الحديث والمعاصر، الزاوية: دار شموع الثقافة، 2008م.

34- جون رايت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، تعريب: عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، طرابلس: دار الفرجاني، 1993م.

35- سليم إلياس، موسوعة أحداث العالم، بيروت، المركز الثقافي اللبناني، 2005م.

36- صحيفة الزهور، ج7، السنة الثانية، القاهرة: نوفمبر 1911م، ص 383.